

**VERS UNE REVISION DE LA METHODE DE L'ENSEIGNEMENT DES HADIS DANS LES
ECOLES FRANCO-ARABES PUBLIQUES SENEGALAISES****Cheikh Guèye, Département F2 FASSTEF/UCAD****موضوع البحث:****نحو تحسين طرائق تدريس الحديث في المدارس السنغالية الفرنسية العربية****Résumé**

L'Etat sénégalais applique, depuis octobre 2002, une politique éducative ayant déjà conduit à l'introduction de l'éducation religieuse dans son système éducatif et à la création d'écoles franco-arabes d'éducation islamique. Seulement, l'initiative, du reste approuvée par les parents musulmans, n'a pas été assortie d'une formation pédagogique des maîtres, ce qui laisse ceux-ci concevoir les leçons de Hadith sur le même schéma que celles de lecture. Or l'enseignement, bien que proche de l'éducation, ne saurait s'y substituer. En fait, ce qu'on vise dans les leçons de Hadith n'est pas le simple fait d'inculquer des notions abstraites, mais plutôt, de susciter l'émotion des élèves, de les rendre conscients de la nécessité de s'inspirer des comportements du Prophète (paix et salut sur lui). En effet, les Hadiths prophétiques ont toutes valeurs de solutions. Or, les solutions n'ont d'effet que si l'on se rend compte des problèmes. C'est dire l'importance qui s'attache à l'adoption de la méthode de résolution de problème qui, non seulement porte les élèves à diagnostiquer leur environnement, mais aussi éveille leur curiosité; ainsi que leur besoin d'interroger la vie sociale, pour en sentir les problèmes, définir ces problèmes, poser et tester des hypothèses de solution, choisir des solutions que l'enseignant généralise, en les liant à la forme et au contenu des Hadiths. En cette dernière étape, c'est plutôt à l'esprit des élèves qu'on s'adresse..

Mots clés :

Hadith – enseignement - éducation islamique - méthodes de résolution de problème-écoles-
enseignants- élèves – inculcation- prise de conscience- conviction

ملخص البحث:

تنتهج الدولة السنغالية منذ اكتوبر 2002 سياسة تربوية أدت إلى إدخال التربية الدينية في نظامها التربوي، وتأسيس مدارس فرنسية عربية للتربية الإسلامية. إلا أن هذه المبادرة، وإن حبذها الأولياء المسلمون، فإنها لم تؤد بالمدرسين إلى ما يلزم من التكوين التربوي، الأمر الذي جعلهم يدرسون مادة الحديث كما يدرسون القراءة. والحال أن التعليم، رغم قرابته من التربية، لا يحل مكانها. لأن المقصود بدروس الحديث ليس شحن أذهان التلاميذ بالمعارف المجردة فحسب، بل لا بد في هذه الدروس من مخاطبة مشاعرهم، وحملهم على الوعي والافتتاح بضرورة الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم؛ ذلك أن الأحاديث الشريفة كلها حلول. والواقع أن الحلول لا تفيد إلا لمن وعى بالمشكلات الداعية إليها. ومن هنا تبرز لنا أهمية اللجوء إلى طريقة حل المشكلات، لكونها طريقة لا تكتفي بحمل التلاميذ على تشخيص محيطهم، بل تنمي فضوليتهم وحاجتهم إلى البحث في الحياة الاجتماعية، للشعور بمشكلاتها، وتحديد هذه المشكلات ووضع الفروض لحلها، واختبار صحة الفروض، واختيار حلول معينة يعممها المدرس يربطها بالأحاديث وما فيها من العبر. وفي هذه المرحلة الأخيرة تخاطب مخاطبة عقول التلاميذ.

المصطلحات المحورية: حديث - تعليم - تربية إسلامية - طريقة حل المشكلات - مدارس - مدرسون - تلاميذ - تلقين - وعي اقتناع -

المقدمة

تنتهج الدولة السنغالية، منذ أكتوبر 2002، سياسة تربوية أدت إلى إدخال التربية الدينية في نظامها التربوي. هذا و أصبح الإسلام مما يدرس في المدارس الابتدائية العمومية، إلى جانب تدريسه في المدارس الابتدائية الفرنسية العربية التي أنشأتها الحكومة السنغالية في كثير من الأقاليم؛ ومن خصوصيات هذه المدارس أنها تسمح للتلاميذ بتعلم العربية و الفرنسية معاً، وتلقي تربية إسلامية أساسها تعلم القران و الحديث و السيرة النبوية و العبادات و التوحيد؛ ويتولى تدريس هذه المواد مدرسون تم اختيارهم من بين معلمي العربية في سائر المدارس الابتدائية العمومية. بيد أن التربية الإسلامية، رغم انتشارها في البلاد، و كل ما حظيت به من الشهرة و التقدير لدى الأولياء المسلمين، خاصة في مناطق البلاد الأكثر تشبثاً بالإسلام، إلا أنها خبرة تربوية جديدة لم يسبق لها مثيل في كل ما مرت به المدارس الحكومية منذ استقلال البلاد. ومن هنا تبدو أهمية تناولها بالدراسة و التحليل، تفهما لمنهجيتها ومدى قدرة المربين على تحقيق أهدافها؛ هذا و من المستبعد أن نتناول، هنا، جميع المواد الإسلامية المقررة، فلذلك رأينا تكريس هذا البحث لتدريس الحديث، الذي من المعلوم انه يحل محل ما كان يعرف بالتربية الأخلاقية و الصحية و المدنية، قبل أكتوبر 2002؛ و غرضنا في هذا البحث، دراسة الكيفية التي يتم بها تدريس الحديث في المدارس المذكورة، بما في ذلك منهجية تنشئة التلاميذ على الأخلاق الإسلامية. و من أجل ذلك، قسمنا هذا البحث إلى ثلاثة مباحث: إشكالية الوضعية و منهجية أداء البحث، ودراسة الوضعية في ضوء الكتابات و النظريات العلمية.

1- إشكالية البحث

إن قرار الحكومة السنغالية بإدخال التربية الدينية في النظام التربوي، و ما يرتب على ذلك من إنشاء مدارس فرنسية عربية، للتعليم الثنائي و التربية الإسلامية، مبادرة تربوية لا تخفى على أحد، مساهمتها في إسعاف تعليم الفرنسية، و التوفيق بين المدارس العمومية و محيطها

الاجتماعي؛ غير أن هذا القرار، كأنه تم اتخاذه بشيء من الاستعجال، لأنه لم يُقترن بتكوين معلمي العربية المكلفين بالمهمة، ولا أدل على ذلك مما صرح به وزير التربية في أغسطس 2002، وهو أن " إدخال التربية الدينية في النظام التربوي و إنشاء مدارس فرنسية عربية حاجة ملحة¹". وعلى هذا الأساس عمت المبادرة على الوجه المباشر، دون تجريب أو تكوين؛ كما بدأت التربية بدون مقرر وطني يحدد المحتويات المراد تدريسها، وذلك حتى عام 2006، أي بعد الشروع في التربية بأربع سنوات؛ والحال أن المدرسين المعيّنين للتدريس في المدارس الفرنسية العربية، لم تسبق لهم ممارسة التربية الإسلامية في المدارس العمومية. صحيح أن معظمهم تلقوا تكويناً في المدارس التكوينية، غير أن هذا التكوين يؤهلهم لتدريس اللغة العربية، وليس التربية الدينية. كما أن معظمهم متخصصون في الإسلام لكونهم درسوه في المعاهد العربية الإسلامية بالسنغال أو العالم العربي، غير أن إلمامهم بالمحتويات الإسلامية لا يعني بالضرورة أنهم على دراية بالاستراتيجيات المناسبة. هذا وفي مادة الحديث يكتفي كثير منهم باستعداداتهم السابقة، ويطبّقون ما في حوزتهم من القدرات والمهارات التربوية البيداغوجية، بل يلقون دروس الحديث على غرار دروس القراءة أو المفردات أو التعبير، في حين أن الآخرين حسبهم تحفيظ الأحاديث، حريصين كل الحرص على حمل التلاميذ على استظهارها كما هي، على نحو ما يفعل في المجالس و عدد من المدارس القرآنية. ولكن هل هذا ما يقتضيه تعليم الحديث؟ هل ينحصر الأمر في حشو أذهان التلاميذ بالمعارف المجردة؟ هل هذه الكيفية هي التي يراد بها توعية التلاميذ وحملهم على تطبيق المعارف المكتسبة، وإقناعهم بوجوب سلوكات تتجلى فيها ميولهم إلى النظافة و بر الوالدين و حسن الخلق و الأمانة و الصبر و حسن الجوار، كما جاء في المقرر الجديد المطبق في المدارس الفرنسية العربية؟ وإذا كان تعليم الحديث ما نربي به المواطن المؤمن (الإنسان الصالح) على تحقيق الخير والبر والعدل دون تعصب، الأمر الذي يميزه عن التربية القومية التي هدفها إيجاد المواطن الصالح الذي يتعصب لقومه ووطنه، وذلك دون أن يستهدف خيراً أو عدلاً أو يبعد شراً عن الآخرين، فكيف يتم هذا بمجرد تحفيظ الأحاديث ومطالبة التلاميذ

¹ Ministère de l'Education (Août 2002:1). Conclusions du séminaire sur l'introduction de l'enseignement religieux dans le système éducatif et la création d'écoles franco-arabes.

باستظهارها عند الحاجة؟ فبكل هذه التساؤلات لا نبالغ إذا قلنا بان تدريس الحديث في المدارس السنغالية الفرنسية العربية بحاجة إلى تغيير، من حيث تصوره واختياراته المنهجية، علي أساس استراتيجيات أقدر على حمل التلاميذ على الوعي بوجوب التخلق بخلق الرسول (صلى الله عليه وسلم).

2- منهجية الدراسة

من أجل دراسة الإشكالية المطروحة في العبارات السابقة، والوصول، في هذا السياق، إلى البيانات والمعطيات القادرة على المساهمة في تفهمها وحلها، رأينا الاعتماد على البحث الوثائقي. وفي هذا الإطار، سنتصب اهتماماتنا على مراجعة الكتابات والنظريات ذات دلالة بالنسبة لموضوع البحث، نحو كتابات علماء الإسلام ونظرية البنائية و علم النفس المعرفي، وإستراتيجية النقل المعرفي، كما ننوي استغلال مبادئ وكيفيات طريقة حل المشكلات.

3- دراسة الوضعية في ضوء الكتابات والنظريات العلمية

يرمي هذا المبحث إلى إبراز أهمية الحديث ودوره في تحقيق التربية الإسلامية، مبينا غاياته وأهدافه التربوية، بل والمقاربات المنهجية التي يتعين العمل بها، تمكينا للتلاميذ من الانتفاع بالأحاديث. كما يتطرق إلى كل من مبادئ وكيفيات طريقة حل المشكلات، وما يترتب على ذلك من الاعتماد، في التربية المقصودة، على إستراتيجية النقل المعرفي.

3-1- مفهوم الحديث ودوره في تحقيق التربية الأخلاقية.

يقصد بالتربية الإسلامية في المدارس السنغالية الفرنسية العربية، ما يدرس في مختلف الأطوار من قرآن وحديث و توحيد وفقه وتفسير وثقافة إسلامية وسيرة نبوية. وقد وضعت هذه المواد لتكامل تربية الناشئ على القيم الإسلامية، من جميع جوانبها النفسية والاجتماعية والروحية والسلوكية والعقلية، وعلى تحقيق العبودية لله جل جلاله، بكل ما في هذه الغاية من معنى ومدلول، وبكل ما تؤدي إليه من نتائج في الحياة والعقيدة و العقل والتفكير. وفي هذا السياق ينظر إلى الحديث الشريف أو السنة النبوية على أنه ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم، من قول أو فعل أو تقرير، وهو المصدر الثاني للتشريع، يلي القرآن الكريم في أهميته وأصالته، وقد شمل في تشريعه و هدايته حياة المؤمن الأخروية والدينيوية بجوانبها

الروحية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية. و لهذا السبب فإنه يعتبر مصدرا للقيم والأخلاق الحميدة التي يتعين على المسلم تفهم معانيها وغاياتها السامية، بل و استغلالها للرشد والاستقامة، من كل جوانبها، لان طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، هي طاعة الله، إذ قال تعالى: " من يطع الرسول فقد أطاع الله"²، كما قال: "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة"³ و نستطيع أيضا أن نعرف قيمة الأخلاق في الإسلام من ثناء الله على نبيه الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، عندما وصفه بقوله "وإنك لعلى خلق عظيم"⁴، ومن قول الرسول صلى الله عليه وسلم "إنم بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"⁵، كما نستطيع أن نعرف ذلك من قوله صلى الله عليه وآله: "إن أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً"⁶. ومن هنا تبرز لنا أهمية استغلال الأحاديث الشريفة، لتنشئة الناشئ المسلم تنشئة إسلامية توجه سلوكاتهم الفردية والاجتماعية، إذ تشكل الأخلاق الفاضلة الركن الأساس في بناء الشخصية الإسلامية وتنظيم المجتمع. وهي مصدر سعادة الإنسان واستقامة شخصيته، وبناء الإنسان السوي السلوك والنزعة. ولذا كانت التربية الأخلاقية من أهم عناصر التربية الإنسانية التي اعتنى بها الإسلام، وأكد الاهتمام بها. كما نعرف من ذلك أن قيمة الشخصية في الإسلام وسر السعادة في الحياة مرتبطان بمستوى ما يتمتع به الإنسان من أخلاق سامية، ونزعات نفسية سوية؛ وتعنى التربية الأخلاقية ببناء المحتوى الداخلي للإنسان على أساس الفضيلة والقيم السامية، من صدق ورحمة وعدالة وأمانة ومحبة والإيثار وثقة بالنفس وجد في العمل، لتكوين الملكات الخيرة، والنزعات الإنسانية الفاضلة التي توجه سلوكه نحو الخير والاستقامة والحق.

3-2- غايات وأهداف اعتماده في التعليم

تعتبر غاية الحديث أو السيرة النبوية "تربية الناشئين على الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم، وإتمام العبودية لله، وإقامة العبادات و المعاملات وكل شؤون الحياة على هدى هذا

² سورة النساء، الآية 80

³ سورة الأحزاب، الآية 21

⁴ سورة القلم، الآية 4

⁵ الأستاذ الدكتور حسام الدين بن موسى عقانة، فقه التاجر، المسلم وآدابه، ص218

⁶ الإمام أبي زكريا يحيى بن شرف (1997) رياض الصالحين، مكتبة الرسالة، بيروت، ص 209

الرسول، الذي أرسله ربه ليطاع بإذن الله، لأنه مبلغ عن ربه، ولأنه مبين للقران وتفاصيل شريعة الله عز وجل⁷، وهكذا لا يتم تحقيق العبودية والخضوع لله إلا إذا أخذ المسلم بهدي محمد صلى الله عليه وسلم في كل عبادة، وفي كل طاعة من الطاعات وفي كل شأن من شؤون الحياة. ويتجلى من ذلك أن مفهوم التربية الإسلامية شامل لكل من الدنيا والآخرة ويقتضي الانقياد لله والافتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم. ولعل هذا ما سبب، في السنغال، موقف الأولياء المسلمين من التربية العلمانية المقتصرة كل الاقتصار على تكوين المواطن الصالح "بتربية الناشئين تربية أخلاقية مدنية، وجعلهم رجالا ونساء مخلصين للمنفعة العامة، ومحترمين لقوانين الحياة الاجتماعية وقواعدها، وعاملين على تحسينها نحو العدالة والإنصاف والاحترام المتبادل"⁸. والمقصود بالمواطن الصالح في التربية العلمانية، هو الشخص الذي ربي تربية اجتماعية تلائم المجتمع الذي نما فيه، وتحقق مصالح ذلك المجتمع وأهدافه ومطامعه. بيد أن التربية الإسلامية لا تقف عند هذا الحد، بل تتعداه إلى ما يسبب رضا الله، ويعد المواطنين إلى الدار الآخرة. وكما قال Rukhsana Zia "تختلف التربيّتان (الإسلامية والعلمانية) بعضهما عن بعض في أن الدولة العلمانية تعتبر هذه القيم واجبات ومسؤوليات وحقوقا والتزامات للفرد والمجتمع، في حين أن الإسلام، الذي، هو أيضا، يقتضي نفس القيم، يبشر محترميها بثوابات في الآخرة، مع مطالبتهم بتحقيقها خصيصا لوجه الله الكريم"⁹؛ وهذا مفاده أن الإيمان بالله هو مدار الحياة في الإسلام، لأن الحقيقة الدينية والحقيقة الأخلاقية متلازمتان تماما، فلا يمكن فصلهما بحال من الأحوال. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الهدف من تدريس الحديث، تربية المواطن المؤمن الصالح والمجتمع المسلم، الذي تتحقق فيه عبودية الله، كما تتحقق فيه الفضائل الاجتماعية من تعاون وتكامل وتضامن ومحبة. ولكن إذا كان الأمر بهذا القدر من الأهمية، بالنسبة للمسلمين، لا بد من إرساء تدريس الحديث على أسس وقواعد من الفعالية والنجاح، خاصة وان الدولة ترمي، في قبولها بإدخال التربية الدينية في نظامها التربوي، إلى "حماية الأطفال

⁷ عبد الرحمان الخلاوي (1979)، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر، دمشق، ص 105

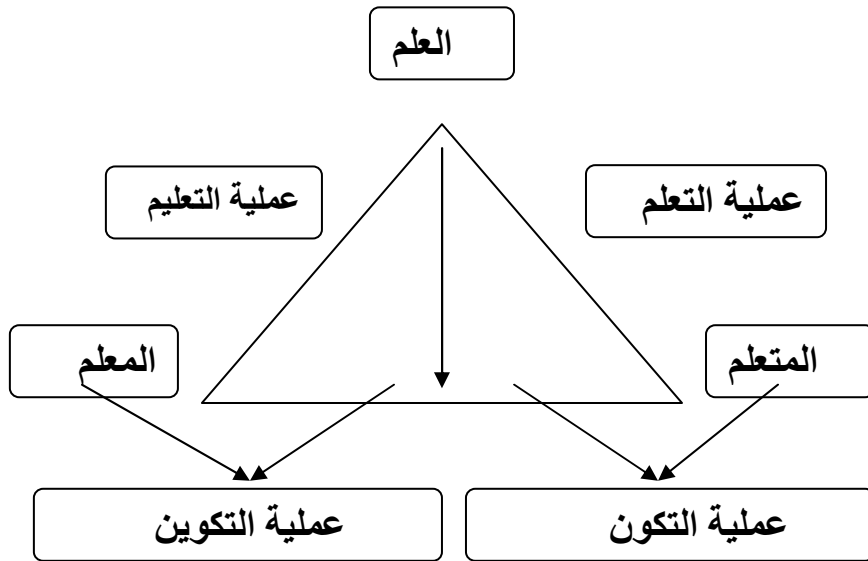
⁸ Loi 91-22 du 16 février 1991 portant orientation de l'Education nationale sénégalaise (en son (article 4)

⁹ Rukhsana Zia (2007).Article sur la religion et l'Education au Pakistan consulté sur le site mrukhsana.Wanadou.fr

من أخطار التعصب الديني، بتربيتهم تربية مبنية على القيم المسلم بها عالميا، و حمايتهم من الأزمة الأخلاقية والروحية والاجتماعية التي تزرع مجتمعاتنا وتتمثل في تصرفات يستعيرها شبابنا من نماذج سلوكية تكون، كثيرا ما، في تناقض مع قيمنا، وتمكين الشعب من الحصول على مواطنين تمت تربيتهم على القيم التي يعترف بها السنغاليون¹⁰.

3-3- أسس تدريس الحديث والتربية الأخلاقية

يفهم مما سبق من التصورات والآراء، أن تدريس الحديث عملية تربوية ترمي أساسا، إلى تنمية فكر الإنسان وتنظيم سلوكه، على أرضية صفات الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك، قصد تحقيق أهداف الإسلام في حياة الفرد والجماعة، أي في كل مجالات الحياة. ولتمثيل هذه العملية وما تتضمنه من العلاقات التربوية، رأينا الاعتماد هنا على مثلث بيداغوجي اقترحه هوساي (1988)¹¹، وهو مثلث غيرناه كما يلي، ليناسب أغراضنا:



و يشير هذا الجدول إلى أن الوضعية البيداغوجية الجارية في الفصول، تتفاعل فيها ثلاثة عناصر: العلم والمعلم والمتعلم، وبينها علاقات تتمثل في كل من التعليم (علاقة المعلم

¹⁰ Ministère de l'Education (2002:1). Rapport annuel sur l'enseignement de l'arabe, l'Introduction de l'enseignement religieux dans le système éducatif et la création d'écoles franco-arabes.

¹¹ Housseay (1988). Le triangle pédagogique, consulté sur le site: www.thèses.unmonreal.ca.

بالعلم) و التعلم (علاقة المتعلم بالعلم)، و التكوين (الصادر عن المعلم)، و التكون (الصادر عن المتعلم). هذا و لكل من المعلم و المتعلم مهمتان أساسيتان يؤديهما في الفصل: التعليم و التكوين للمعلم، و التعلم و التكوّن للمتعلم؛ كما يوحي الجدول بأن العلم(المتمثل هنا في الأحاديث) لا بد من توظيفه في مواقف أخرى، ليتسنى تحقيق كل من التكون و التكوين، و إلا يبقى في الذهن، لا يُستفاد في السلوك. وبهذا الخصوص، لعل من الجدير بالذكر أن التربية و التعليم عمليتان متلازمتان، قد صار بينهما تزواج مكين، و تمازج وثيق، بحيث لا يستغني دارس أحدهما عن الاهتمام بمحتوى الآخر، إذ إلى الإسلام ترجع نشأة علوم اللغة العربية من نحو، و صرف، و لغة، و معجم، و بلاغة، و أدب؛ و لكن مع كل ذلك، فإنهما يفترقان في المقاربات و الطرائق، و هذا بحاجة إلى البيان و التوضيح، حتى يعطى كلاهما ما يستحقه من التقدير، خاصة و أن بعض المدرسين لا يفرقون بينهما في اختياراتهم المنهجية، في حين أن مفهوميهما مختلفان في المدلول، رغم ما بينهما من الارتباط الوثيق. و عرف التعليم بأنه "عملية منظمة يمارسها المعلم، نقلا لما في ذهنه من المعارف إلى أذهان متعلمين بحاجة إلى ذلك"¹². كما يعرف بأنه "عملية إيصال المعارف و الفنون و التقنيات، إلى شخص مستعد لتلقيها بجد"¹³. أما التربية فتشير عموما إلى "مجموعة من التغيرات و التطورات و التوجيهات التي تؤثر في سلوكنا و تشكل أسلوب حياتنا و تتحكم في تفكيرنا و تحدد أنواع علاقاتنا و تصرفاتنا، فهي الحياة بأوسع معانيها"¹⁴

فالتربية بهذا المعنى أوسع مجالا من التعليم و أعظم أثرا في تربية الأطفال و تشكيل شخصياتهم، لأنها عملية تساعدهم على النمو المتكامل من حيث النفس و العقل و الجسم و الحياة الاجتماعية، بحيث يستطيعون التكيف مع أنفسهم و دينهم. و توحى كل هذه التعريفات بأن التربية و التعليم لا يمكن اعتبارهما مترادفين بالنظر إلى ما يختص به كل واحد منهما من المبادئ و الكيفيات، و إن صح أن التربية، لاسيما التربية الإسلامية لا بد فيها

¹² علي عبد الباسط عبد المنعم محمد، مقالة حول الفرق بين التربية و التعلم و التدريب، جامعة بني سويف

¹³ Zellige 3 Tribune libre(2008). Article sur la définition de l'enseignement consulté sur le site www.fr/textes/enseigner

¹⁴ مقالة حول التعريف بالتعليم موجودة في الموقع الإلكتروني www.almuallem.net

من تعليم تعرف به شريعة الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. ومن هذا المنطلق، يتعين على مدرس الحديث أن يعرف الكيفية التي يجمع بها بين الاثنين؛ صحيح أن التعليم في الإسلام لا ينفصل عن التربية، وأن التربية محققة على أساس التعليم، بيد أن المنهجية التي يتم بها حمل التلاميذ على الوعي والسلوك الإسلامي الحميد، لا يمكن حصرها في مقاربة التعليم. أما الاكتفاء بالتعليم دون اقترانه بالتربية فسببه، في كثير من الأحيان، اعتقاد المدرس بأن التلاميذ سيكونون قادرين على تحقيق الكفاءات المنشودة، والانتفاع بها في الحياة اليومية، دون الحاجة إلى مرشد، لكونهم قد فهموا مدلولات الأحاديث. فإن هذا الاعتقاد يفنده الواقع، لأن معظم التلاميذ ينقصهم ما يلزم من الوعي والنضج للانتفاع بمكتسباتهم في الحياة اليومية، وبتعبير آخر إن الاقتصار على إيصال الأحاديث المقررة إلى أذهان التلاميذ لا يؤدي بالضرورة إلى الوعي والافتناع بوجوب التسلح بها وتجنيدتها وتوظيفها في مواقف الحياة، إذ إن "التعليم لا يجدي إن لم يأخذ في الاعتبار الواقع الاجتماعي"¹⁵. ولا يختلف هذا الواقع عما في التلاميذ من التصورات والميول والتصرفات المتنوعة، بحيث لا يمكن تغيير السلوكات والتصرفات الاجتماعية، دون تربية الشباب، فكما قال Devela و Astolfi "إن لكل متعلم ما سبق أن اكتسبه على المستوى التصوري أو المفهومي، وهذا هو ما يعتمد عليه لفهم الأشياء، وإن كان خطأ، لا يبني عليه"¹⁶. ومن هنا تبرز أهمية استغلال مكتسبات التلاميذ السابقة، وتمكينهم من الوقوف على ما في مجتمعاتهم من المشكلات الحياتية، قبل تدريسهم الأحاديث. ذلك أن تدريس الأحاديث لا يفيد حقيقة إلا بقدر ما يؤدي بالتلاميذ إلى الوعي بوجوب الامتثال لأوامر الله، وتوفير سلوك الفرد والمجتمع لشريعته وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم. ولذا ننبنى ما يقترحه Philippe Perrenoud وهو ضرورة الاعتماد في التعليم على "النقل المعرفي أو بناء الكفايات"¹⁷، باعتباره إستراتيجية يمكن بها تعريف الناشئين بما في المجتمع من المشكلات السلوكية، وكذلك حملهم على الوعي والافتناع بضرورة حل هذه المشكلات، عملاً بأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم،

¹⁵ Jean Michel Zakhartchouk (2004 : 2), "enseigner au ZEP, un autre métier?", conférence organisée par le CAREP et donnée au CRDP de Reims

¹⁶ Astolfi.J.P et Develay . M (1989:9-10). La Didactique des Sciences. Paris: P.U.F

¹⁷ Philippe Perrenoud (2002:3).Qu'est-ce qu'apprendre? Faculté de Psychologie et des Sciences de l'Education. Université de Genève.

بدلاً من شحنهم بهذه الأحاديث لمجرد تمكينهم من حفظها واستردادها، دون ربطها بالحياة اليومية التي جاءت خصيصاً لجعلها في محيط التربية الإسلامية. أما الكفايات المنشودة هنا في تدريس الحديث، فلا يخفى على أحد أنها هي التي تقدر المربي على التكيف، من حيث السلوك، مع الدين والمجتمع. غير أن هذا يتطلب أن يخاطب درس الحديث القلب والوجدان.

3-4-4- كيفية إثارة الوعي والافتناع لدى التلاميذ.

مما لا امتراء فيه أن الأحاديث النبوية حلول جاهزة تحل به كل ما يعانيه المسلم من المشكلات الاجتماعية. وهدف تدريسها أن يقتنع التلاميذ بضرورة الانتفاع بها في حياتهم اليومية، وفي سبيل تحقيق هذا الهدف، يجد المدرس أمامه مقاربتين إحداهما حشو أذهان التلاميذ بالأحاديث المدروسة، وتولييتهم مسؤولية تطبيقها في الحياة؛ والأخرى توعيتهم بالمشكلات الحياتية الواجب حلها، قبل تعريفهم بالأحاديث المختارة، وتحليلها وشرح ما ورد فيها من المفردات والعبر؛ وبخصوص المقاربة الأولى، ليس من المؤكد أن التلاميذ، وخدمهم، قادرون على الوصول إلى الوعي والافتناع بأهمية العمل بالأحاديث، إذ جلهم مقتصرون على حفظها وترديدها، بينما لإمامهم بما فيها من العبر. أما المقاربة الثانية فلا شك أنها تخلق في التلاميذ الوعي والافتناع، لأنها تجعلهم يشعرون بالمشكلات من شتى جوانبها، ويقتنعون، تلقائياً، بوجود حلها، ناقلين مكتسباتهم السابقة من معارف ومهارات وقواعد سلوكية إلى الوضعية الجديدة، بحثاً عن الحلول المناسبة، قبل الوصول إلى ما تأتي به الأحاديث من الحلول الإسلامية. إن هذه المقاربة ما اصطحح عليه اسم "طريقة حل المشكلات" لكونها تتدرج في التعليم من المشكلات إلى الحلول، وليس من الحلول إلى المشكلات المطروحة. ومما يسهل تطبيق هذه الطريقة في المدارس السنغالية الفرنسية العربية، أن دروس الحديث، تلقى غالب الأحيان باللغة الوطنية التي يتقنها التلاميذ، رغم إلقائها بالعربية في الفصول العليا حيث يستطيع التلاميذ الفهم والتكيف.

3-4-4-1- التعريف بطريقة حل المشكلات.

يرى بعض المفكرين أن طريقة حل المشكلات تعود، في نشأتها، إلى العلماء العرب والمسلمين، أمثال ابن الهيثم والرازي وجابر بن حيان، الذين دعوا إلى إتباع المدخل العلمي في التفكير. وقال ابن حيان " يجب أن نعرف أننا نذكر ونتحدث فقط بما رأيناه وليس بما علمناه وقراناه ، أو أخبرنا به؛ ومن الممكن تحقيق ذلك من خلال التجربة بحيث نقبل أو نرفض الشيء "وبالإضافة إلى ذلك "قد أكد التربويون الأمريكيون على هذه الطريقة مثل جون ديوي الذي أشار إلى ضرورة قيام المتعلم بالعمل بنفسه، عن طريق حل المشكلة، لإتقان المهارات والخبرات المتعددة اللازمة له في الحياة¹⁸. ومهما يكن من أمر، فإن طريقة حل المشكلات، من المصنف المعرفي، والنشاطات العقلية المنشودة في التعليم، نظرا لأهميتها، إذ أنها على نقيض من منهجية تلقين المعلومات وتحفيظها للتلاميذ. إنها تنبني على استغلال المعارف والمهارات والسلوكات التي حققها التلاميذ في تعلماتهم السابقة، أو ما لديهم من الخبرات الاجتماعية. وبخصوص المشكلة فإنها وضعية في تناقض مع المؤلف أو يشوبها خلل، بحيث يكون الشخص في حالة من الركود؛ أو بتعبير آخر، إنها واقع ليس في طبيعته ما كان يجب أن يكون، وهو ما يحدث فيه نوع من التضارب بين المحصول والمعروف. وفي هذا الصدد، يهدف حل المشكلة إلى سد الفراغ و تسوية الوضع؛ إلا أن المقصود هنا المشكلات الأخلاقية التي يعيشها التلاميذ في محيطهم الاجتماعي والتي ستساعدهم دروس الحديث على الوقوف عليها وتحليلها حلها على أساس التربية الإسلامية؛ كما تعتمد هذه الطريقة على التفكير العلمي، في حل المشكلات، إذ من خلالها يتدرب التلاميذ على ممارسة التفكير السليم، حيث إنها حالة من الحيرة والقلق والشك أو التردد تتطلب بحثًا دقيقًا، لاستكشاف الحقائق المساعدة في السبيل إلى الحل المناسب. وتكون هذه المشكلة هي التي تؤرقهم، وتدفعهم إلى بذل مجهودات توصلهم إلى الحل المنشود. وزد على ذلك أنها وسيلة تربوية فعالة لاكتشاف حلول المشكلات بطريقة ذاتية، من خلال إعطاء التلاميذ فرصة التعرف على ما يرتكبونه، أو يرتكبه محيطهم من الأخطاء في السلوك. .. هذا ويجب ربط كل المشكلات بحياة التلاميذ الاجتماعية، حتى تستأثر باهتمامهم، وتجعلهم مهتمين

¹⁸ جامعة هولندا للعلوم (2009)، نقالة حول تدريس العلوم باستخدام طريقة حل المشكلات، الموقع الإلكتروني forums.graam.ca

وراعيين في الوصول بها إلى حل. والمشكلة مثالها في المجتمع الإسلامي "ولد مدلل لا يطيع والديه، بل يسبهما ويشتمهما"، وهي نوعان: المشكلة التي يمكن حلها بمجرد معارف أو مهارات تطبق عليها، شريطة أن يملك الشخص المعطيات المناسبة، أو يستطيع إيجادها، بكل سهولة ويسر؛ والمشكلة التي تتطلب من الشخص أن يتحلى بروح الإبداع، لأن العناصر الضرورية لحلها مفقودة، بحيث يكزن من الصعب الوصول إليها، دون الاستعانة بالتفكير، كما هو الحال في دروس الحديث المحققة بمنظور بحل المشكلات.

3-4-2- مميزاتاها في مجال التربية والتعليم.

من البديهيات والمسلمات أن الحلول لا تجدي إلا بقدر ما يكون الشخص المعني بالأمر على علم ودراية بالمشكلات نفسها. ومن هنا يمكن القول بان ما يقدم للتلاميذ من المعلومات والعبر في سبيل دعوتهم إلى الأخلاق الحسنة والافتداء بالرسول (صلى الله عليه وسلم)، أمر ضروري، ولكن الإتيان به بعد حمل التلاميذ على تحديد مشكلات يمكن إزالتها بهذه الحلول، أفضل وسيلة للوصول بهم إلى الوعي، إذ من يعي بمشكلته، يبحث لها عن حلول. ولهذا يؤكد علم النفس المعرفي على ضرورة استعمال طريقة حل المشكلات، ضمانا لنجاح العمليات التعليمية. والحال أن لهذه الطريقة مميزات كثيرة نذكر منها ما يلي:

– تثير اهتمام التلاميذ لأنها تؤدي بهم إلى حيرة وتضاعف دافعيتهم لحل المشكلة، كما تساعدهم على اكتساب المهارات العقلية مثل الملاحظة ووضع الفروض والتصميم وإجراء التجارب والوصول بالدراسة إلى استنتاج وتعميم.

– تنمي في التلاميذ التعلم الذاتي، فهم الذين يبحثون عن الحقائق بأنفسهم؛ وتساعدهم على إيجاد شخصيات قوية يواجهون بها صعوبات الحياة، حيث تعودهم على البحث والتحليل..

– تنمي فيهم الدقة، فهم يرفضون الحقائق المطلقة ولا يسلمون بها دون اختبار أثرها في المواقف المختلفة

– تساعد التلاميذ في الاعتماد على النفس وتحمل المسؤولية، و استخدام مصادر مختلفة للتعلم، وعدم الاعتماد على الكتاب المدرسي على أنه الوسيلة الوحيدة للتعلم

– تجعل التلاميذ على موقف إيجابي، لأنهم يشاركون في تعيين المشكلة وتحديدِها؛ كما تجعل التعليم أثبت في أذهانهم، لما جاء حل المشكلة عن طريق افتراض الحلول ومحاولات التلاميذ بأنفسهم.

3-4-3- مراحل درس الحديث المتعلق بحل المشكلات

يتطلب استعمال طريقة حل المشكلات خطوات واضحة تهدف كل واحدة منها إلى كفاية معينة. وفي هذا السياق، يحسن تقسيم الدرس إلى فترتين متكاملتين. **الفترة الأولى:** يقصد بها حمل التلاميذ على دراسة المشكلة والوصول بها إلى حل. ومن أجل ذلك، يوضع التلاميذ أمام موقف أو وضعية مشكلة من صور وغيرها تجسد سلوكيات وتصرفات من التي لا تتماشى مع الإسلام. هذا ويحتوي الدرس على المراحل الآتية:

مرحلة الشعور بالمشكلة: يحاول كل تلميذ، اعتماداً على ما يشعر به من الوضعية المطروحة، التعرف على المشكلة وتحديدِها بدقة، مستعيناً في ذلك بدلالات الوضعية.

مرحلة تحديد المشكلة وحصرها: بعد مرجه الشعور، يدعو المعلم التلاميذ إلى التعبير عما يعتبرونه مشكلة في الوضعية. وهنا يجب عليه الاستماع إلى الجميع، دون التهاون بجواب. ومن الجدير بالذكر أن الوضعية قد تكون ذات جوانب متعددة ، فتؤدي إلى التشعب ، وعدم اتضاح معالمه.

مرحلة جمع البيانات: يُجري المعلم مناقشة عامة حول هذه المشكلة حتى يستقر الأمر إلى مشكلة معينة يتفق عليها الجميع، أو أغلبية التلاميذ.

مرحلة وضع الفروض: يحمل المعلم التلاميذ على افتراض حل المشكلة، وذلك من خلال استعراض كل الحلول الممكنة و القادرة على إزالة العقبات و توصيل القضية إلى الصواب.

مرحلة اختبار صحة الفروض الموضوعية: يتم هذا الاختبار عن طريق دراسة محاسن الفروض ومساوئها، في إطار مناقشة عامة يأتي فيها كل تلميذ بما يناسبه من الحلول. وتنتهي هذه المرحلة إلى حل واحد يختاره كل الفصل أو أغلبية التلاميذ.

تعميم الحل المقترح: من الملاحظ أن هذا الحل، وإن كان بسيطاً، إلا أنه يكون عموماً، غير بعيد عن الصواب، بحيث يمكن للمعلم أن يربطه بالحديث. ومن ذلك، يلاحظ للتلاميذ أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد حل المشكلة، فيقرأ الحديث ثم يكتبه على السبورة ليقراه التلاميذ.

الفترة الثانية أي مرحلة شرح مفردات ومعاني الحديث: يستحسن هنا مخاطبة التلاميذ على قدر فهمهم واستعمال وسائل إيضاح تقرب المدلولات المقصودة إلى نفوسهم؛ أما حفظ الحديث فعلى كل تلميذ أن يقوم به في البيت.

تقويم دروس الحديث المتعلقة بحل لمشكلات

من المعلوم أن تقويم دروس الأخلاق ليس بالأمر الهين، نسبة إلى أنها تخاطب القلب والوجدان أكثر مما تخاطب العقل، ولكن بوسع المعلم أن يقوم أثر الدروس في نفوس التلاميذ، وذلك بالانتباه إلى سلوكياتهم وتصرفاتهم في المدى القريب والبعيد، ففي المدى القريب أي عقب إلقاء الدروس، يستطيع اختبار التلاميذ، بكيفية أو أخرى، وجلب مشاعرهم ودعوتهم، مثلاً، إلى بيان ما يستفيدونه من الحديث المدروس، والمجالات الأخرى التي يستطيعون فيها توظيفه لحل مشكلات أخرى. أما في المدى المتوسط، فإنه من الضروري، القيام بالتقويم بعد مضي فترة طولها ما بين ثلاثة وستة أشهر، وذلك لمعرفة ما إذا كان التلاميذ قد حسّنوا سلوكياتهم الأخلاقية الاجتماعية، وعلاقاتهم مع الآخرين. ويتم ذلك عن طريق ملاحظتهم والتحدث معهم وهم في الساحة أو غيرها من أماكن المدرسة. ومن وسائل التقويم الاتصال بالأسر والاستطلاع على ما يوحى به التلاميذ من السلوك الحسن، لأن هذه المتابعة على مستوى رفيع من الضرورة بالنسبة للتربية الإسلامية، خاصة وأن المدرسة تواصل دور الأسر فيما تؤديه من التربية الإسلامية.

خاتمة البحث

يستخلص مما تقدم من النظريات والأفكار أن تعليم الحديث لا يجوز حصره في بعده التعليمي المتمثل في معالجة الأحاديث بمجرد كتابتها وقراءتها وشرح ما تحتوي عليه من المفردات والتراكيب والمعاني والعبر، ثم تحفيظها للتلاميذ، على أن يستظهروها مع الفهم والإجادة، فلا بد للمدرس أن يربطها بالمشكلات الفردية الاجتماعية التي جاءت لحلها، حتى يتسنى للتلاميذ الاقتناع بأهميتها، ووجوب العمل بها في حياتهم اليومية. إلا أن تطبيق هذه الكيفية يتطلب من المدرس أن يرسم خطة فعالة يستطيع بها توعية المتعلم وتنظيم حياته النفسية والانفعالية والوجدانية والأخلاقية والسلوكية. أما فهم الأحاديث بمدلولاتها الصحيحة وحفظها واستظهارها بحسن الأداء، فلا يختلف اثنان في ضرورته في سبيل تزويد التلاميذ بدلالات وعبر يرجعون إليها في معاملاتهم الاجتماعية. بيد أن تحفيظ هذه الأحاديث دون جذب انتباههم إلى مشكلات أخلاقية تقتضي العمل بها، عملية تفقد الوعى والشعور بما في محيطهم من السلوكيات المذمومة. ولذا يتعين، في تدريسهم الحديث، اعتماد المدرس طريقة حل المشكلات، لأنها طريقة لا تكفي بتدريسهم على تشخيص محيطهم، بل تنمي فضوليتهم وحاجتهم إلى البحث في الوضعية المعروضة، للشعور بمشكلاتها، وتحديد هذه المشكلة ووضع الفروض لحلها، واختبار صحة الفروض، واختيار حل واحد يعمم فيما بعد بربطه بالحديث وما فيه من العبر. وعليه فيدخل الدرس في فترته الثانية التي يخاطب فيها المدرس عقول التلاميذ، فيشرح لهم مفردات الحديث ومدلولاته الأساسية. والملاحظ في هذا المجال أن الأحاديث الشريفة جاءت في معظمها لحل مشكلات دينية أو أخلاقية، كان المسلمون يواجهونها في حياتهم الاجتماعية، وهذا يعني، بتعبير آخر، أن المنهج التربوي الإسلامي في تدريس الحديث يكون أكثر فعالية إذا تدرج بالتلاميذ من المشكلات إلى الحل، إذ بذلك يدفع التلاميذ إلى الوعى بمدى أهمية الأحاديث. وإذا كانت الاستعانة بطريقة حل المشكلات لا بد منها في تدريس الحديث، فإننا لا نبالغ إذا قلنا بضرورة توظيفها وتعميمها على سائر المواد الإسلامية، من قرآن وسيرة وتوحيد وعبادات إلخ، بل يمكن استعمالها كوسيلة من وسائل الدعوة الإسلامية، ولكن هذا موضوع بحاجة إلى مزيد من البحث والتفكير.

صفحة المراجع

المراجع العربية

- 1- الأستاذ الدكتور حسام الدين بن موسى عقانة، **فقه التاجر المسلم وآدابه**.3- الإمام أبي
- 2- الإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي، (1997)، **رياض الصالحين**، الرسالة: بيروت، الطبعة الأولى.
- 3- جامعة هولندا للعلوم (2009) **مقالة حول تدريس العلوم باستخدام طريقة حل المشكلات**، منشورة في الموقع الإلكتروني forums.graam.ca
- 4- عبد الرحمان الخلاوي (1979)، **أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع**، دار الفكر، دمشق.
- 5- علي عبد الباسط عبد المنعم محمد جول، **مقالة حول الفرق بين التعليم والتعلم والتدريب**، جامعة بني سويف: الموقع الإلكتروني.
- 6- مصحف القرآن الكريم، رواية حفص
- 7- **مقالة حول التعريف بالتعليم**، موجودة في الموقع الإلكتروني www.almualem.net

المراجع غير العربية

- 1-- Astolfi, J Pet Develay, M, (1989) **la didactique des sciences**, Paris: PUF
- 2-- Houssaye (1988). **Le triangle pédagogique**, consulté sur le site www.theses.umonreal.ca
- 3-- Jean Michel Zakhartchouk (2004), "enseigner au ZEP, un autre métier?", conférence organisée par le CAREP et donnée au CRDP de Reims.
- 4-- Loi 91-22 du 16 Février 1991 portant loi d'orientation de l'Education nationale sénégalaise (article 4)
- 5-- Ministère de l'Education (2002:1). **Rapport annuel sur l'enseignement de l'arabe**, l'introduction de l'enseignement religieux dans le système éducation et la création d'écoles franco-arabes.

LIENS 12

VERS UNE REVISION DE LA METHODE DE L'ENSEIGNEMENT DES HADIS DANS LES ECOLES FRANCO-ARABES PUBLIQUES
SENEGALAISES

6-- Ministère de l'Education(Août 2002) Conclusions du séminaire sur l'introduction de l'enseignement religieux dans le système éducatif et la création d'écoles franco-arabes.

7--Philippe Perrenoud (2002) **qu'est-ce qu'apprendre?**. Facult2 de Psychologie et des Sciences de l'éducation. Université de Genève.

8-- Rukhsana Zia (2007). Article sur la religion et l'éducation au Pakistan, consulté sur le site rukhsanazia.wanadou.fr

9-- Zellige 3 Tribune libre, Article sur consulté sur le site www.Fr/textes/enseigner